

إرادة الله

يالها من حقانق، تلك التي قد علمنا إياها الرسول بولس، في الأصحاحات السابقة، والتي تشكل الجزء العقائدي من رسالته، وما أمجد تفسيره للإنجيل! وما أعظم غنانا بالمسيح! وكم هو عجيب تعامل الله مع خطاة غير مستحقين!

لكن كل هذا يثير سؤالاً صعباً: "كيف أتجاوب أنا مع مثل هذه المحبة؟ بعدما قبلت مثل هذه المراحم من الله؛ ما هو رد فعلي الذي يظهر امتناني له؟ إنني لا أستطيع أن آتي بتقدمة شكر، كما كان يحدث في زمن العهد القديم؛ لأن كل تلك الذبائح قد بطلت. طبعاً إنني سأسبح الله بشفتي؛ ولكن هذا يبدو غير كافٍ. ترى ماذا أفعل؟"

التكريس

عدد 1: "إن حل مشكلتك يكمن في كلمة واحدة - التكريس؛ فبدلاً من أن تقدم ذبيحة، كن أنت ذبيحة! كما كانت تلك الحيوانات تُقدم ذبيحة بدون تحفظ، هكذا قدموا أجسادكم تحت تصرف الله. دعوا الأجساد - التي كانت قبلاً في خدمة الخطية - أن تخدم الله. لتكن إستجابتك: "أنا لست أسلم حياتي؛ بل أحيي حياتي لله." كرّس نفسك لحياة مقدسة، ولرضى الله. هذه هي عبادتك الروحية، في مقابل طريقة تقديم الذبائح في العهد القديم."

عدد 2: "والحقيقة هي إن مراحم الله قد جعلتكم شعب الله، لذلك لا تعيشوا كما لو لم تكونوا شعبه. بكلمات أحر، لا تعيشوا مثل الآخرين. لا تدعوا الناس الذين من حولكم يضغطون عليكم لتكونوا مثلهم، ولكن عوضاً عن ذلك اجتهدوا أن تكونوا مرضيين أمام الله."

هذا لا يمكن أن يتم بمجرد الالتزام بممارسات خارجية معينة. إنه يتطلب تغيير ذهنك. إنه يتطلب أن تكون مختلفًا في أسلوب تفكيرك؛ حتى تكون مختلفًا من الخارج. اعط نفسك بجملتها في سبيل رضى الله، وليكن هذا هو المبدأ الثابت في ذهنك، واختبر إرادة الله بهذه الطريقة، وسوف يثبت لك أنها صالحة ومرضية وكاملة.

وهكذا فإن أول ما يتبع تعليم بولس العقائدي، هي الدعوة إلى التكريس والانفصال، الأمر الذي سيؤدي بالتالي – وبكل تأكيد – إلى حياة الكمال والرضى والبركة. إنها دعوة للحياة لله، والخضوع له كلية. هذه هي الاستجابة – الوحيدة المعقولة – لمراحم الله، التي سكبها علينا بواسطة الإنجيل، وعندئذ لا يجب أن نستمتع للشيطان عندما يؤكد لنا، أن الحياة في طريق الله سوف تكدر حياتنا، بل على العكس تمامًا، فإن طاعتنا لإرادة الله سوف تغني حياتنا إلى درجة تفوق الوصف. لقد صنّعنا لأجله وهذا هو بالضبط ما يجب أن نتوقعه.

علينا أن نلاحظ، أن الرسول بولس يدعونا أن نقدم أنفسنا. عندما نقدم لله أشياء مادية فقط فهذا نوع من التكريس بالنيابة، وهذا النوع من التكريس لا يهتم به الله كثيرًا، لكن عندما نضع أنفسنا بالكامل تحت تصرف الله، تكون هذه – وهذه فقط – هي الاستجابة المناسبة لما عمله الله لنا في المسيح.

ويصوغ C.T. Studd هذه الفكرة في صورة مناسبة قائلا: "أنا قد عرفت عن موت يسوع من أجلي؛ لكنني لم أفهم مطلقًا أنه إذا كان يسوع قد مات لأجلي، فأنا إذا لم أعد ملكًا لنفسي. إن الفداء يعني إعادة الشراء؛ لذلك فإذا كنت ملكًا لله، فإما أن أكون سارقًا وأحتفظ بما ليس لي، أو أن أخصص كل شيء لله. عندما أرى أن يسوع قد مات من أجلي؛ فلا يبدو صعبًا أن أخصص له".

فالمبدأ العام إذاً واضح جداً، لكن كيف أستطيع أن أقدم نفسي لإرضاء الله؛ إذا لم أكن أعرف ما يريد الله؟ ولتدليل هذه الصعوبة، يخبرنا بولس الرسول ما هي إرادة الله لنا في عدة مجالات.

إرادة الله لكم في الكنيسة: استخدام المواهب

الأعداد 3 – 8: "إن أول ما عمله المؤمن في العهد الجديد لم يكن تعلم أن يصرف وقتنا "للخلوة الشخصية"، ولدراسة الكتاب المقدس (مع أن هذه عادة ممتازة، ولا يجب أن تتوقف لحظة واحدة). إن أول ما كان يعمل هو أن يعتمد وأن ينضم إلى كنيسة. هذا يفسر لنا لماذا يعالج بولس الرسول موضوع إرادة الله للمؤمن في الكنيسة أولاً، قبل أن ينتقل لمناقشة إرادة الله للمؤمن كشخص."

إننا نحتاج أن نتخلى عن الآراء المُبهمّة عن التكريس. إن المكان الأول الذي فيه يظهر التكريس هو في الطريقة التي يحيا ويتصرف بها المؤمن في جسد المسيح. إذا أردت أن تُظهر امتنانك لله من أجل مراحمه؛ عليك أن تبدأ من هنا. عليك أن تخضع لما قد أعلنه الله بشأن الكنيسة. إن أولئك الذين يظهرون أنهم مسيحيون أقوياء؛ لكنهم لا يطيعون الرب في هذا المجال، هم ليسوا مسيحيين أقوياء على الإطلاق. هؤلاء لم يضعوا أنفسهم تحت تصرف الله، في المجال الذي يتوقع الله منهم فيه الطاعة أولاً. إذا لم تُوضع الأمور الأولى أولاً؛ فكيف يمكن أن يكون أي شيء آخر صحيحاً؟.

عدد 3: "بداية يجب أن تكون لديكم نظرة واقعية للمواهب التي وهبكم الرب إياها. هذه هي النقطة التي أريد – كرسول للمسيح – أن أركز عليها أولاً، والتي أريد أن أضعها في بؤرة اهتمام كل واحد منكم. إنكم تُجربون بأن تظنوا في أنفسكم أكثر مما يجب. قاوموا هذا الإغراء، وعضواً عن ذلك؛ اطلبوا أن تكونوا معتدلين وواقعيين

ومتّزنين في تقدير مواهبكم. ترى ما هي الوسائل التي أهلكم بها الله، لتكونوا نافعين لجسد المسيح؟"

عدد4، 5: "إن كل كنيسة من كنائس المسيح مثل جسد الإنسان. المسيح هو الرأس، وكل فرد في الكنيسة هو عضو في الجسد، وهو مرتبط ليس فقط بالرأس، بل أيضاً بكل الأعضاء الأخرى. توجد أعضاء كثيرة مختلفة، كل منها له وظيفة مختلفة، ومع ذلك يوجد جسد واحد فقط. النموذج هنا هو تعددية في وحدة. كل واحد منا لديه مواهبه لكن ليس لدينا جميعاً نفس المواهب. توجد اختلافات حقيقية وهامة بيننا في هذا المجال؛ ولكن هذا لا يهدد وحدة الجسد بأي حال من الأحوال. كل عضو يعمل بطريقة مختلفة؛ ومع ذلك فكل عضو له نفس الهدف، ألا وهو خير الجسد ككل."

عدد6: "تختلف المواهب حسب النعمة التي تعطي هذه المواهب، ومع ذلك فإنها نفس النعمة التي تعطي كل المواهب."

هذا يعني بالطبع أن كل المواهب نافعة، وكلها هامة، وكلها ضرورية. لا يوجد شخص في كنيسة المسيح، يمكنه أن يقول: "ليس هناك شيء يمكن أن أعمله" أو: "أنا لا أستطيع أن أفعل شيئاً". مثل هذا الكلام يناقض تماماً ما قالته كلمة الله بأن كل عضو له مواهب معينة. وبولس الرسول لا يقيم وزناً لمثل هذه الاعتراضات، التي – وللأسف – كثيراً ما نسمعها اليوم. بعد أن شجعنا الرسول على أن نكتشف مواهبنا، يتقدم خطوة تالية إذ يحثنا أن نستخدمها.

عدد6ب: "هل لديك موهبة إعلان فكر الله للشعب؟ إذا فعل ذلك، لا أكثر ولا أقل. تصرف بمقدار ما لديك من إيمان."

عدد7: "إذا كان لديك موهبة خدمة شعب الكنيسة، استمر في هذه الخدمة. إذا كانت موهبتك تعليم شعب الله، فعليك أن تستمر في هذه المهمة." عدد8: "ربما تكون موهوباً بصفة خاصة في مخاطبة ضمائر الناس، وحثهم على القيام بواجباتهم. ضع نفسك للقيام بهذا الدور. إذا كان العطاء هو الجانب القوي لديك؛ فافعل ذلك بسخاء دون ضجّة. إذا كانت موهبتك هي التدبير؛ فاحرص أن تقوم بها بكل اجتهاد ودون تقصير، وإذا كانت موهبتك هي مساعدة أولئك الذين يجتازون محنة؛ فافعل ذلك بروح مسرور."

بكلمات آخر، فإن بولس الرسول يطلب من كل واحد من قرائه أن يكتشف ما يُجيدُه، وأن يسأل نفسه: "بأي طريقة يمكن أن ينفع الجماعة، التي هي جسد المسيح مخلصه؟" إنه لا يتوقع أن يمتلك الآخرون نفس الموهبة التي لديه، ولا شيء - مهما كان - يمكن أن يمنعه من استخدام الموهبة التي لديه. على كل واحد أن يفعل كل ما يستطيع أن يعمل لفائدة الجسد الذي ينتمي إليه، والمكوّن من جماعة المؤمنين؛ وهكذا ينبغي أن يبدأ المؤمن، عندما يريد أن يشكر الرب على مراحمه له. إنه يقدم نفسه بلا قيد من أجل حياة وخدمة جسد المسيح، الذي هو نفسه جزء منه، وألا يثنيه شيء عن التزامه بالكنيسة المحلية المكوّنة من الرجال والنساء الذين خلصوا بواسطة إنجيل المسيح كما خلص هو أيضاً.

إرادة الله لك كشخص: النمو في النعمة

من ناحية أخرى، لا يكفي أن تعمل المفروض أن تعمله في الكنيسة؛ فالمؤمن الشاكر يجب أن يكون شخصاً له صفات خاصة؛ ولهذا السبب يتبع بولس الرسول ذلك، بسلسلة من الجمل القصيرة في موضوع السلوك الشخصي، فالشخص المكرس هو الشخص الذي يستخدم مواهبه في الكنيسة، ويسعى في نفس الوقت من أجل نمو

النعمة الروحية في حياته الشخصية. ليس أمامه أن يختار واحداً من الاثنين؛ لكنه يعملهما معاً.

دعونا نعيد صياغة هذه السلسلة من الوصايا القصيرة؛ وسوف نكتشف بسرعة أنه لا أحد منا عنده أي سبب يدعو إلى تهنئة الذات. وأرجو أننا نتأثر من ذلك ونصرخ إلى الله طالبين منه أن يكون سلوكنا أكثر إرضاءً له في المستقبل عما كان عليه في الماضي.

عدد9: "لتكن محبتكم للآخرين محبة حقيقية، وليست مظهرية أو مصطنعة، ولترفضوا كل ما هو شر – أو مشكوك فيه أن يكون شراً – رفضاً تاماً، ولا تخجلوا من محبتكم للخير والطهارة وكل ما هو حق".

عدد10: "لتكن الروح التي تسود في الكنيسة، هي روح الأسرة الواحدة من مشاعر ومودة. هذا الأمر لا يمكن أن يتحقق إلا عندما نفكر في الآخرين أكثر مما نفكر في أنفسنا."

عدد11: "ابتعدوا تماماً عن الكسل وإضاعة الوقت والملل. بدلاً من ذلك كونوا حارّين في الروح، وامتثلوا بالغيرة الروحية، وكونوا مكرّسين أنفسكم لخدمة الرب."

عدد12: "فكروا كثيراً في الميراث العظيم الذي ينتظركم، وافرحوا، وفي نفس الوقت احتملوا الضيقات التي تجتازون فيها بصبر. ولا تفقدوا اتصالكم بالسماء ولو للحظة واحدة."

عدد13: "إن الكثير من إخوتكم المؤمنين من هم في احتياج، سدّدوا احتياجاتهم بحسب طاقتكم. ابحثوا عن المناسبات التي تستخدمون فيها بيوتكم، في استضافة الغرباء بصفة مستمرة."

عدد14: "الاضطهاد هو جزء من الحياة المسيحية؛ لكن عليكم بالحذر في كيفية رد فعلكم عليه، لئلا تخطئوا؛ ومع ذلك باركوا أولئك الذين يقاومونكم. لا تردوا على ذمهم بكلمات الذم؛ بل بكلمات المحبة."

عدد15: "لا تكن منعزلاً عن أفراح الناس وأحزانهم، لكن شاركهم فيها مشاركة تامة. تعامل مع أفراحهم وأحزانهم كما لو كانت أفراحك أنت وأحزانك أنت، فالواقع هو أننا أعضاء بعضنا لبعض."

عدد16: "حافظوا على وحدانية الكنيسة، وتجنبوا كل أشكال المحاباة والتمييز، وتجنبوا على وجه الخصوص أن تبالغوا في تقديركم لنفوسكم. ولكي تتجنبوا هذا اتخذوا من الناس العاديين أصدقاء حميمين لكم. لا تصلوا إلى النقطة التي تعتقدون عندها أنكم أفضل جداً من بعض الناس (أم3: 7)."

عدد17: "لا تنتقموا عندما يُخطئ إليكم الآخرون، أيا كان من ارتكب الخطأ. لتكن حياتكم خالية من كل نقد مبرر."

عدد18: "اعملوا كل ما في وسعكم لتعيشوا في سلام مع الآخرين". بالطبع، ليس من الممكن أن نحيا دائماً في سلام مع الآخرين، في عالم شرير؛ وهذا يفسر لماذا يستخدم الرسول هذه الكلمات للتعبير عن توجيهاته. على سبيل المثال، عندما يتعرض الحق للضياع؛ يمكن للمؤمن أن يقوم بدور يجعله غير محبوب أو مكروهاً. في مثل هذه الحالات يكون من المستحيل على المؤمن أن يحيا في سلام مع الآخرين،

ومع ذلك فإن الرسول بولس يوضح أن المؤمن لا يجب أن يكون لديه ميل للنزاع. إنه يفعل كل ما في وسعه ليحيا في سلام مع الآخرين.

عدد19: "لا تنتقموا لأنفسكم، فتسلبوا ما هو حق الله. أفسحوا المجال لله ليعمل، فإنه حق الله – لا حقكم – أن يجازي بالعدل، وقد وعد أنه سيفعل ذلك (تث32: 35)." .

عدد20، 21: "في الحقيقة، يجب أن تجازي الشر، بكل ما يمكن تخيله من إحسان. من الأفضل أن يتألم الإنسان بما يمكن أن يُخجله في الوقت الحاضر، عن أن يعاني من عقاب الجحيم بعد ذلك. إُدفع الذين يقاومونك للخضوع، اغلبهم، ليس بالانتقام، لكن باللطف الحقيقي. لا تسمح للشر أن ينتصر عليك، كما يمكن أن يحدث إذا تبنت وسائل الانتقام. اغلب الشر بالخير."

عند هذه النقطة يمكن أن تتبلور في أذهاننا صورة المؤمن الشاكر، التي قد رسمها لنا الرسول بولس في هذا الأصحاح. إنه الشخص الذي ليس له هدف سوى أن يُرضي مخلصه الرحيم. إنه الشخص الذي وضع نفسه وكل ما له تحت تصرف هذا المخلص. إنه الشخص الذي ينادي دائما: "لنكن مشيئتك" مهما كانت نتيجة هذه المشيئة.

وعندما يطيع المؤمن مشيئة الله المُعلنة، فإنه يدخل في اتحاد قوي مع الجسد المكون من المؤمنين، والذي يسعى إلى خدمته وفائدته بكل طريقة حسب استطاعته. إنه يسعى أيضاً ليطيع – داخلياً وخارجياً – تعاليم ووصايا الله فيما يتعلق بسلوكه وحياته الشخصية؛ لذلك، فهو مختلف تماماً عن الرجال والنساء الذين من حوله. لكن هذا لا يعني أنه منعزل؛ بل بالأحرى يحيا حياة نقية غير أنانية مليئة بالنشاط والحركة والوداعة. إنه ينظر إلى أعلى وفي الوقت ذاته يراعي الآخرين.

إن التعاليم في هذا الأصحاح هي "ترمومتر"، يمكن بواسطته قياس درجة حرارتنا الروحية. لقد تعلمنا كيف يجب أن يعيش المؤمن الشاكر كما هو متوقع. ويمكن أن يُقاس مدى شكرنا من خلال رؤيتنا لمدى الجدية التي نبذلها محاولين أن نحيا حسب ما قد قرأناه.